كيف استطاع "ابن حميدو" مناطحة براد بيت في "حرب الزومبي العالمية"؟

المتعة. قاسم مشترك بين العشرات من الأفلام التي أنتجها صناع الفن السابع "السينما" على مدار أكثر من مئة وعشرين عاما من الإبداع، ولم يكن يوما جنس المنتَج الفني أو لغته حائلا دون إمتاع المحبين للفن في مختلف أصقاع الأرض، ويبقى وحده ذوق المشاهد القادر على تصنيف المقبول والجيد والفريد.

ويكثر الحديث بين محبي السينما في جلسات سمرهم عن قوائم الأفلام المفضلة لدى كل واحد منهم وخاصة تلك التي يحرصون على إعادة مشاهدتها من حين إلى آخر؛ وحقيقة كلما طرق هذا السؤال مسامعي أجد قائمتي المفضلة يتصدرها أربعة أفلام هي "World War Z وThe day after tomorrow وInterstellar وابن حميدو".

أعلم أن الأخير يبدو شاذا مقارنة بالأفلام الثلاثة الأخرى، ولكننا اتفقنا أن "المتعة" هي القادرة على جمع شتات الفن، وقدرة فنانون أمثال "اسماعيل يس وأحمد رمزي وهند رستم وعبد الفتاح القصري وزينات صدقي وتوفيق الدقن" أبطال ابن حميدو على إمتاعي لا تقل بحال عن قدرة براد بيت وبيير فرانشيسكو فافينو ودانيلا كيرتز وغيرهم في فيلم حرب الزومبي العالمية.

ابن حميدو فيلم مصري كلاسيكي يصنف ضمن الأفلام الاجتماعية الكوميدية، تدور أحداثه حول شابين يعملان بالبوليس يتم إرسالهما إلى إحدى المدن الساحلية في مهمة سرية لمحاولة كشف إحدى عصابات تهريب المخدرات وتتطور الأحداث حيث يلتقي الملازم أول حسن (أحمد رمزي) والصول ابن حميدو (اسماعيل ياسين) بفتاتين محليتين يقعان في حبهما ويسهم ذلك الحب بشكل كوميدي في تمكين الأبطال من كشف أمر شبكة التهريب وإلقاء القبض على أعضائها.

الحالة اللذيذة التي يتركها "ابن حميدو" الذي أخرجه الراحل فطين عبد الوهاب عام 1957 في نفسي وكثير من محبيه أراها لا تختلف كثيرا عن الأثر الذي يخلفه فيلم "حرب الزومبي العالمية" الذي يقوم بدور البطل فيه براد بيت، وتدور أحداثه حول مرض غامض يصيب الملايين من البشر في مختلف أنحاء العالم ويحولهم إلى (موتى أحياء).

مع تفاقم الأزمة وتفشي المرض بشكل استحالت معه قدرة أكبر دولة في العالم على احتوائه يبرز دور جيري (براد بيت) المحقق السابق بالأمم المتحدة الذي يضطر إلى الذهاب لأقاصي الأرض بحثا عن حل لغز هذا الوباء العالمي أملًا في إنقاذ عائلته أولا والبشرية من بعدها، ويستطيع جيري من خلال جمع فتات المعلومات ورصفها جنبًا إلى جنب مع ما يصطدم به من أحداث ومواجهات مباشرة مع الزومبي أن يصل إلى حل ينقذ البشرية.

يحسب لصناع "World War Z" الذي عرض لأول مرة عام 2013 وحقق حين عرضه إيرادات عالمية تجاوزت 300 مليون دولار، أنهم لم يضعوا الفكرة الأساسية للفيلم وهي محاربة الموتى الأحياء في قالب نمطي سقط فيه صناع الكثير من الأفلام التي استلهمت نفس الفكرة، إذ تعامل الكاتب والمخرج وبالطبع الممثلين بجدية بالغة مع العمل فتجده يخلو من مشاهد الرعب التقليدية وأصبحت الأحداث شبه طبيعية جعلت المشاهد يكاد يهم من مقعده للبحث مع الأبطال عن حل لأزمتهم.

الجرعة التشويقية التي يمنحها فيلم حرب الزومبي للمشاهد لم يضاهيها في اعتقادي طوال السنوات اللاحقة لإنتاجه سوى فيلم الخيال العلمي "Interstellar" الذي قام بدور البطولة فيه الممثل الأمريكي ماثيو ماكوهني بمشاركة كل من آن هاثاواي وجيسيكا شاستين وأخرجه كريستوفر نولان في عام 2014.

وبالرغم من أن النواة الأساسية التي انبثق منها أحداث الفيلم ليست بالجديدة على سينما الخيال، إذ تدور حول ضرر بيئي بالغ يصيب الأرض ويجعل الحياة فوق ظهرها أمر شبه مستحيل لغالبية الكائنات الحية، ما يدفع البشر للبحث عن وطن بديل يحظى بسمات شبيهة بكوكبنا الأزرق وهو ما تم تجسيده على سبيل المثال في مسلسل (Earth2) إنتاج عام 1998، إلا أن المعالجة الدرامية ومزج الواقع العلمي النظري بالخيال في Interstellar خلقوا معا ما يشبه سيمفونية ساحرة لمدة تناهز ثلاث ساعات.

في رحلة البحث عن موطن بديل يستطيع الطيار كوبر (ماثيو ماكوهني) أن يعبر حاجز الزمكان من خلال ثقب دودي إثر العبور بأراضين وكواكب يساوي العيش بها ساعة واحدة ما يوازي سنوات على كوكب الأرض، ويتمكن في النهاية أن يطوي الزمان ويعود إلى الماضي ويرى نفسه وقت أن كانت ابنته في عمر الـ12 وهي تحاول أن تثنيه عن السفر عبر الفضاء.

لم يستوعب كوبر ما حاق به في بادئ الأمر، إلا أن "طاروس" وهو جهاز حاسوب مستقبلي مد له يد العون وأخبره أنه فك الرموز الكمية التي يمكن بواسطتها أن يتنقل البشر بحرية في الزمان والمكان في آن واحد، لكن عدم قدرة كوبر على التواصل من موقعه مع الزمن الحاضر أجبرته على نقل هذا الكم الهائل من المعلومات إلى ابنته في المستقبل عبر شيفرة موريس وهو يعلم أنها لن تستطيع قراءتها إلا بعد سنوات.

تنتهي أحداث الفيلم بشكل درامي حينما يتمكن رواد فضاء من العثور على كوبر هائما في السماء، ولدى عودته يجد الأرض لم تعد أرضا ويخبره أطباء أنه لم يعد الشاب الثلاثيني الذي سافر إلى الفضاء كما أن ابنته التي تركها طفلة باتت عجوز تخطى عمرها المائة.

العلاقة الوطيدة بين كوبر وابنته وتأكيده في آخر لقاء جمعهما قبل سفره إلى الفضاء بأنه سيعود، تذكرني بأحداث فيلم "The day after tomorrow" الذي ينتمي كذلك إلى أفلام الخيال العلمي وأخرجه رونالد إميريتش للسينما عام 2004 والبطوله فيه لـ جيك جيلنهال ودينيس كويد وإيمي روسوم وغيرهم.

يناقش فيلم "The day after tomorrow" الآثار المدمرة لظاهرة الاحتباس الحراري وتهديدها لكافة الكائنات الحية التي تعيش فوق ظهر الأرض، وترتفع جرعة الخيال والأدرينالين في آن مع تسارع الأحداث إذ تنقلب الأرض إلى العصر الجليدي في غضون 48 ساعة من إطلاق جاك هال (دينيس كويد) تحذيراته بشأن تعرض الأرض لهذا الخطر المحدق والذي كان يظنه بعيدًا عن الحدوث بنحو مائة عام.

الجليد الذي كسى قطاعات هائلة من الكرة الأرضية وقف حائلا بين جاك الذي كان في ولاية أوهايو وقت تجمدت الأرض وابنه سام الذي تقطعت به السبل داخل إحدى المكتبات العامة رفقة زملائه في نيويورك. إلا أن الأب اتخذ قراره بشق الجيلد حتى ينقذ طفله من موت محتم. فهل نجح في مسعاه؟